زَينَب العَقِيلة عليها السلام

رَمزُ الإباء

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
قسم الثقافة والإعلام
الشؤون الفكرية والثقافية
٩٣

زَينَب العَقيلة عليها السلام .. رَمزُ الإباء

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة

قسم الثقافة والإعلام

الشؤون الفكرية والثقافية

١٤٣٤ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ

صدق الله العلي العظيم

سورة الرعد: الآية ٢٤

المقدمة

الحمـــد لله رب العالمين والصلاة والســـلام على أشـــرف الخلق أجمعين حبيب اله العالمين أبي القاسم محمد المصطفى وعلى آله الطاهرين، واللعن الدائم على أعدائهم من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين وبعد..

كانـــت المرأة في العصـــر الجاهلي ضحية العقليـــة المتخلفة والأعراف الاجتماعية الســـائدة حتى بلغت الجريمـــة بحقها أن تدفن وهي على قيد الحياة، إشـــفاقا من الإنفاق أو من العار والشـــنار الذي يخشون وقوعه منهـــا. وقد تحدث القـــرآن الكريم عن الظلم والإجحـــاف الذي عانته مســـتنكراً أعرافهـــم وأحكامهم عليها قال تعالى ((وإذا بشـــر احدهم بالاثني ظل وجهه مسوداً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون))[1]

ثم يدافع عن إنســـانيتها وكرامتها بقوله تعالى: ((واذا الموءودة ســـئلت بأي ذنب قتلت))[2] وإذا سلمت المرأة من القتل العمد أو الإهانة المباشرة فأنها تتحول إلى ســـلعة وأداة لإشباع الرغبات، فينتشر البغاء حتى يمتهن وترفـــع أعلامهن الحمراء، ولذا تمزقت روابط الحياة الاجتماعية المســـتقرة

(١) سورة النحل/ ٥٨- ٥٩
(٢) سورة التكوير/٦-٩

وانتشـــرت الأمراض الغريبة التي فتكت بهم، في هذا الوسط الاجتماعي المتداعي وفي ظلمات ذلك العصر المتخلف بزغ فجر الإســـلام برســـالته التي حملها النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ليمزق الأعراف الجاهلية ويعطي الإنســـان الحرية الحقة التي أعادته إلى معنى الإنســـانية التي أراد الله تعالى أن يكون ويتصف فيها.

قال تعالى: (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه ســـبل الســـلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بأذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم)[1]. ومن الأمور التي اهتم الإسلام ونبيه العظيم صلى الله عليه وآله الاهتمام بالمرأة وبحســـن تربيتها ونشأتها ومعاملتها رافعاً عنها كل الحيف الذي لحقها، وســـاواها بالرجل في كثير من المواضع. وجاء على لســـان الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: (ألا خيركم خيركم لنسائه، وأنا خيركم لنسائي)[2]، وانه صلى الله عليه وآله كان مثلاً أعلى في شتى ألوان تعامله وأنماط سلوكه، كان كذلك في علاقاتـــه بأزواجه، فأنه التزم العدل الكامـــل في معاملتهن (في النفقة والمسكن والملبس والمبيت والزيارات والوقت) ومن حسن سيرته صلى الله عليه وآله مداراته لأزواجه ورعايتهـــن بالرفق والحب، ويهتم بملاطفتهن ويرضي عواطفهن، ويوصي المســـلمين ويدعوهم إلى العمل بها ومن تلك الوصايا قوله صلى الله عليه وآله:

(١) سورة المائدة /١٥-١٦

(٢) ســـيرة الرسول واهل البيت/ مؤسســـة الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره)/ص٢٥٤

(اغسلوا ثيابكم، وخذوا من شعوركم، واستاكوا، وتزينوا، وتنظفوا، فأن بني إسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك، فزنت نساؤهم))[1] كما انه صلى الله عليه وآله كان يحرص على تهذيب أخلاقهن بالخلق الإسلامي الكريم، والعمل على توجيهن الوجهة السليمة التي ترقي بهن في بناء المجتمع السليم. وقد أشار الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله إلى أفضل نساء العالم وما كمل منهن في حديثه الشريف قائلاً: (كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع، آسيا بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله)[2].

ومن فضليات النساء وفضلها أشهر من أن يذكر وأبين من أن يسطر عقيلة الطالبيين فخر المخدرات، مركز العفة والحشمة، زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، موضوع بحثنا البسيط والمتواضع، الذي سنتناول من خلاله التعرض لشخصها الكريم، ودورها في الثورة الحسينية، راجين العلي القديران يوفقنا لإعطاء صورة ولو بسيطة عنها انه سميع مجيب.

(١) نفس المصدر
(٢) ميزان الحكمة/ محمد الريشهري/ ج٣ص٢٧٤٦

زينب في سطور

الاسم: زينب

الأب: علي بن أبي طالب

إلام: فاطمة بنت محمد عليها السلام

الجد: محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله

الجدة: خديجة بنت خويلد عليها السلام

الأخوة: الحسن والحسين عليهما السلام

الزوج: عبد الله بن جعفر الطيار

ألقابها: الصديقة الصغرى، العقيلة، عقيلة بني هاشم، عقيلة الطالبين، العارفة، العالمة، الفاضلة، الكاملة..

مكان الولادة: المدينة المنورة.

تاريخ الولادة: ٥/ جمادي الأولى/ ٥ هجرية.

تاريخ الوفاة: ١٥/ رجب/ ٦٢هجرية.

مكان الدفن: دمشق، قرية يقال لها راوية، وقيل في مصر.

نشأت هذه الطاهرة الكريمة في حضن النبوة، ودرجت في بيت الرسالة، رضعت لبن الوحي من الزهراء البتول عليها السلام، وتغذت بغذاء الكرامة من كف ابن عم الرسول صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين علي المرتضى عليه السلام[1]، تأخذ التربية الصالحة والتأديب القويم من والدها الكرار وأخويها الكريمين الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام إلى أن بلغت من العلم والفضل والكمال مبلغاً عظيماً. وهي بنت النبي الأعظم صلى الله عليه وآله حيث قال: (كل بني أم ينتمون إلى عصبتهم إلا أولاد فاطمة،فأني أنا أبوهم وعصبتهم)[2] سماها رسول الله صلى الله عليه وآله زينب حباً بأكبر بناته زينب، أذن في أذنها اليمنى وأقام في اليسرى، تلقت زينب أرقى الخلق الإنساني، والمثل العليا، فأبوها المرتضى، وأمها البتول، وجدتها خديجة الكبرى، وعمها الطيار، وأخويها سيدا شباب أهل الجنة(صلوات الله عليهم أجمعين)، وقد استطارت شهرتها بما ظهر منها قوة حجة وفصاحة وبلاغة، وان بلاغتها وشجاعتها الأدبية ليست من الأمور الخفية وقد اعترف بها كل من اطلع على سيرتها الشريفة، ولا غريب فأن أباها سيد البلغاء والخطباء وقد ملأت الدنيا خطبه التي سعى أكابر العلماء لتدوينها، ولا غريب وان أمها صاحبة الخطبتين المشهورتين (في نساء الأنصار، وفي جمع المسلمين في المسجد النبوي).

(١) رجال تركوا بصمات على قسمات التاريخ/ السيد لطيف القزويني/ ص١٥٩

(٢) نيل الأوطار / الشوكاني/ ج٦ص١٣٩

خطاب زينب عليها السلام

لا غرو أن المتطلع على الثورة الحسينية يوقن وبقناعة تامة إن زينب عليها السلام شـريكة الإمام الحسـين عليه السلام بثورته في جميع ملاحمها وفصولها شـراكة إيجابية وفاعلة، وجاهدت جهاداً لم يعرف التأريخ مثله في مرارته وأهواله، وتبنـت مخططات الثورة وأهدافها، وهي التي أبـرزت قيم الثورة الأصلية من خـلال خطبها التأريخي في أروقة الحكم الأموي، فكشـفت للعالم الإسـلامي زيف الحكم الأموي وجرائمه وموبقاتـه، وقد خاطبت أهل الكوفة بغير ما خاطبة أهل الشام وكما يلي:

١ – خطابهـا في الكوفـة كان موافقاً للخطاب القـرآني الذي يعمق روح الندم، فأثارت حفيظتهم وحررت بعض نواياهم الصالحة، فحققت التحرك والاندفاع الشعبي، والاستجابة المقصودة التي ظهرت نتائجها فيما بعد، فأصبحت الكوفة معقل الثـورات والانتفاضات على الحكام حتى أبدلوا الأموي بالعباسـي، ومن ثم كثرت الانتفاضات والثورات المناهضة للسلطة.

٢ – أما في الشـام فكان خطابها مختلف جداً عن خطابها في الكوفة، لان المجتمعين مختلفان تماماً، فالمجتمع الشامي لا يعرف من هم أهل البيت عليهم السلام ولم يع ما كان يفعل ويحسب أن السبايا إنما هي من الخوارج أو الترك

أو الديلم فكشـفت في خطابها عن واقع البيت الأموي الجائر وخلفياته ورفعت القناع الذي يتستر خلفه وألحقت به الخيانة وعدم شرعية تسلطها علـى مقدرات الأمة ، فضلاً عن تعريفهـم بأهل بيت الرحمة ومكانتهم من رسول الله صلى الله عليه وآله فخلقت فيهم وعياً أصيلا كان من نتاجه الانتفاضات الشـعبية، بل التأثير حتى على البيت الحاكم، فقد رفض معاوية بن يزيد تسـنم الحكم بعد هلاك أبيه لمعرفته إن أهـل البيت هم أولى أن يكونوا على رأس الأمة،كذلك ما فعلته زوجة يزيد من إقامة العزاء الحسـيني في دار قاتله.

ومـا أروع سـيدتي ومولاتي وهي تخاطب يزيد (لعنـه الله) قائلةً (فكد كيدك، واسـع سـعيك وناصب جهدك فو الله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا ولا تدرك أمدنا ولا ترخص عنك عارها وهل رأيك إلا فند وأيامك إلا عـدد وجمعك إلا بدد يوم ينادي المنادي: إلا لعنة الله على الظالمين، فالحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة (والمغفرة) ولأخرنا بالشهادة والرحمة ونسال الله أن يكمل لهم الثواب ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة انه رحيم ودود وحسبنا الله ونعم الوكيل)[1]

(١) العوالم/ عبد الله البحراني/ص٤٣٥

زينب ومقام الإمامة

لقد أدركت السيدة زينب عليها السلام إن الإمامة منصب الهي، وان الإمام ينصب من الله تعالى، وان الإمامة مقتصرة في علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء وابنيهما الحسن والحسين، وتسعة من أولاد الحسين (صلوات الله عليهم أجمعين)، وان طاعة المعصوم واجب مفترض، فكانت تلك المرأة الطائعة المطيعة لله ولرسوله والأئمة، وقد أخذت شرايع دينها وعقائدها غضة طرية من منابعها ومناهلها الصادرة من البيت الذي يجمعها معهم، وقد عرفت مقام الإمام عند الله، وعرفت ما للإمام من حقوق وواجبات، فكان ارتباطها بالإمامة أولا، وبصلة الرحم ثانياً، فكانت تدور في فلك الحجة بنحو الالتزام والطاعة، وتأثرت بالقدوة الحسنة حتى صارت وكأنها هي أصل القدوة، فأنها كالزهراء في هيئتها عندما خطبت في أهل الكوفة، وتراها كأبيها في الثبات لا تخضع عند الجبابرة ولا تخشى غير الله تعالى، لا تحركها العواصف ولا تزيلها القواصف، وفي الفصاحة والبلاغة كأنها تفرغ عن لسانه، وكأنها كالحسن في هيبتها وحسن أخلاقها، وإنها شريكة الحسين في الذب عن الإسلام والجهاد في سبيل الله والدفاع عن شريعة جدها سيد المرسلين صلى الله عليه وآله، وقد حملت الصفحة الثانية لواقعة الطف، وحافظت على مقام الإمام علي بن الحسين عليه السلام، فكان ما يخرج عن

علي بن الحسين من علم ينسب إليها تستراً عليه من الطغاة، تصدت للتحديات التي واجهت الإمام علي بن الحسين أثناء السبي والأسر، محافظةً على مقام الإمامة طائعة مؤتمرة بأوامره، وترجع إليه في كل أمورها.

رحم الله العلامة النقدي حين يقول في زينب:

ربيبة عصمة طهرت وطابت ... وفاقت في الصفات وفي الفعال

فكانت كالأئمة في هداها ... وإنقاذ الأنام من الضلال

وكان جهادها بالقول أمضى ... من البيض الصوارم والنصال[1]

كرم زينب عليها السلام

لقد ذكر التاريخ كرماء الشعوب والعرب، واشتهر من بينهم بشكل ملفت للنظر حاتم الطائي وذكروا له قصص تحكي عن كرمه وشدة التزامه بالكرم، وقد مدح كرمه الشعراء وبالغوا بنشر هذه الفضيلة له حتى صار فعله واسمه تضرب به الأمثال ويستدل به على الكريم. وإذا طارت شهرت الطائي بسبب ما تبذله كفه وانسه بضيفه، وإذا اعتبره الناس انه

(١) زينب الكبرى / الشيخ جعفر النقدي/ص١٧٣

اكرمهم بسبب ذبح فرسه النادر والتي يعزها وقدمها إلى ضيفه، لكي لا يبقي ضيفه جائع، وحتى لا يقال فيه ما يقلل من كرمه.....، فأين كرمه من زينب عليها السلام التي أعطت كل شئ في الله تعالى، فقدمت كل ما تملك،

من أموال وبنين، وأهل والأحبة، وراحة واطمئنان، وامن واستقرار،والعز والجاه، كل شئ يهون، وكل شئ يذوب من اجل حفظ وصيانة شريعة المصطفى صلى الله عليه وآله،لا تنتظر عقيلة الطالبين أن يذكر كرمها من ذاكر، بل هي من ذلك البيت الذي مدحه الله تعالى في محكم كتابه العزيز ((ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً واسيراً، انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولاشكوراً))[1]، فأين الثرى من الثريا.

الصلابة عند المواقف الحرجة

يعبر عن الوقوف بحزم وجدية في مواجهة التحديات والمصاعب بالصلابة، وكان من صفات الأنبياء الصلابة في مواجهة التحديات، والصبر على النائبات، والتوجه إلى الله تعالى في أيسر الأمور وأعسرها. وقد مدح الكثير من العباد لامتيازهم بصفة الصلابة والشدة في حسم الأمور، وعلى ذكر العظماء الذين امتازوا بهذه الصفة، نذكر الرسول

(١) سورة الدهر/ ٨،٩-

الأعظم صلى الله عليه وآله وهو يواجه اعتى هجمات الشــرك والطغيان، فيقف وقفت الشموخ والتحدي، حتى مضت الرسالة لتحقق أهدافها التي جاءت من اجلها، وأقرت واســتقرت في الأمة لتميزها عن سائر الأمم، ولتخلد إلى قيام يوم بعقائدها وأحكامها. كما أن القرآن الكريم قد أعطى عدة صور لصبر الأنبياء عليهم السلام وصلابة مواقفهم في ســبيل إعــلاء كلمة الله تعالى، وإفشــاء الشــرائع الإلهية بين الأمم.، وقد ذكر نبي الله نوح عليه السلام بشدة صبره وتحمله اســتهجان قومه واســتهزائهم بما جاء من عند الله تعالى، وطــول صبره عليهم حــتى جاء أمر الله عز وجل في عقاب قومه بعد أن توجه نوح عليه السلام بدعــاء الله أن يفرج عنه، وتحدث القرآن الكريم عن نبي الله موســى عليه السلام في عدة مواضع، وكيف تصدى لمواجهة طاغي عصره، فتحمل ما تحمل وبذل كل ما في وســعه أن يقدمه في سبيل تبليغ رسالة الســماء، وهداية قومه إلى عبادة الله تعالى، وتسفيه ما صدر عن فرعون وادعاءاته، فعمل بصبر وصلابة، حتى هلك فرعون وجلاوزته بأمر من الله تعالى، وكذا ما جرى لنبي الله عيســى عليه السلام وسائر الأنبياء صلى الله عليه وآله والأولياء وعبــاد الله الصالحين. ولا نريــد أن نطيل في عرض الكثير من الأحداث ونطنــب في بحثنا الذي أردناه أن يكون مقتضباً بســيطاً. إذن لنعود إلى عقيلــة الطالبين ونمعن النظر والتأمــل في صبرها وصمودها وصلابتها في مواجهتها لأحداث الثورة الحسينية وما جرت عليها من مصائب، وفيما يلي بعض هذه المواقف:

غربة الوطن

إذا كان معنى الغربة هو الاغتراب عن الوطن أي تنحيه، والغريب الذي هو في غير وطنه[1]. إن بطلتنا الحوراء أول مصيبة لاقتها تركها وطنها ومسقط رأسها (المدينة المنورة) مدينة الوحي، مدينة جدها المصطفى، مدينة الإسلام التي منها انطلق نور الهداية إلى العالم اجمع، ليستنير به من ظلمات الجاهلية المقيتة.

خرجت زينب عليها السلام من مدينة جدها تاركةً دارها الذي يضم زوجها وبعض صبيتها[2] ترافق صاحب النهضة الإصلاحية، إمام زمانها، الحسين

---

(١) غريب الحديث/ ابن سلام/ج٣ص٤١٤

(٢) زوجها عبد الله بن جعفر بن ابي طالب عليه السلام الذي ولد في الحبشة اثناء هجرة المسلمين الى الحبشة، وعندما هاجر الرسول الى المدينه كان عمره عشرة سنوات، تزوج من زينب واولدها عون، وعلي، وقيل ولدت له علياً، وجعفراً، وعوناً، وعباساً، وام كلثوم، مات سنة ثمانين عن عمر يناهز التسعين ودفن بالمدينة اوفي الابواء، اشتهر بالجود حتى لقب بقطب السخاء، وانما كثر خيره واتسع ماله بدعاء النبي صلى الله عليه وآله. لازم عمه علي بن ابي طالب عليه السلام واستفادمنه علماً وتبصراً في دقائق الامور، فحضر معه صفين وعقد له الجمل وحظي بعده بإمامة الحسن والحسين عليهما السلام وكم مرة استماله معاوية فما وجد الارجلاً صلب الايمان عارفاً بالحق والهدى مائلاً عن سفاسف الملحدين. استشهد اولاده محمدوعبد الله وامهما الخوصاء بن حفصة بن ثقيف وعون وأمه العقيلة زينب عليها السلام مع الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء.

بن علي عليه السلام إلى حيث يأمر، إلى رضوان الله تعالى، إلى درب الفضيلة، إلى موطن الشـــهادة، فغربتها تذوب أو ذابت في سبيل رضوان الله تعالى وإتباع أمر الإمام، نـــرى زينب تعيش غربتها دون أن يلتفت إليها احد، تحلت بالصبر وهي تســـير من المدينة إلى مكـــة ثم العراق، تعيش الحالة وهي متماســـكة صلبة قوية، يركن إليها الصغير والكبير ليتزود من صبرها وصلابتهـــا ما يمكنه من التعايش مـــع الأحداث. فكانت في غربتها عن الوطـــن الذي يضـــم بين جوانبه الدفء والحنان يتـــزود منه المحتاج وغير المحتاج.

النزول في أرض كربلاء

مـــن أقبح الأمور أن يُملى على الفاضل والمعصوم والحجة قرارات وأوامر من المفضـــول ومن هو دونهم والأقبح من ذلك أن تكون الأوامر صادرة من جهال الأمة، ولهذا الأمر وتنفيذه يحتاج إلى صلابة وقوة وشديد صبر حتى تصمد دون الوقوع في المحذور.

هذا الســـهم الثـــاني الذي يصيب مولاتي زينـــب عليها السلام بعد أن أصابها الســـهم الأول بســـبب غربتها عن الوطن، وهي ترى إن طلائع الجيش

الأمـــوي بقيادة الحر بن يزيد الرياحي، يجبر الحســـين عليه السلام بالعدول عن التوجـــه إلى الكوفة وإنزاله ارض كربلاء، بعيداً النـــاس، منتظراً أوامر بن زياد (لع) بشـــأن الحسين عليه السلام وأهل بيته وصحبه، فأنزلهم رمضاء كربلاء المقرفة وأقصرهم عليها دون الاتصال بأحد. تجشمت عناء السفر والغربة بالصبر الجميل مهوّنة على أخيها وقع الحدث، واقفة على باب كل خيمة في معســـكر الحسين عليه السلام، باذلةً العطاء المعنوي، الذي يبعث الاطمئنان واستقرار النفوس.

قلة العدد

الســـهم الثالث الذي أصاب زينب عليها السلام قلة عدد المقاتلين في معسكر الحســـين عليه السلام، حيـــث إن عددهم اثنان وســـبعون أو أكثـــر بقليل[1]، ومعســـكر الأعداء تجـــاوز عددهم على اقل الروايـــات ثلاثين ألفا همج رعاع لا يتحرجون من فعل المنكر، كاتبوا الحسين عليه السلام وعاهدوه ثم نكثوا عهودهـــم وخرجوا لقتاله، فتنظر ســـيدتي إلى ذلـــك الجمع المرعب وهو يحيط بهم طالباً قتل رجالهم وإباحة معسكرهم وسبي نساءهم وذرا ريهم،

(١) - ٣٢فـارس و٤٠ راجل/الطـبري/ج٥ص٤٢٢- وقيـل ٨٢ مقاتـل وقيـل ١٤٥مقاتل / بحار الأنوار/المجلسي/ج٤٥ص٤.

فكانت قلقلة على مستقبل إخوتها وبني إخوتها وبنيها وأصحاب جدها المصطفى وأبيها المرتضى وأخيها المجتبى وأصحاب أخيها الحسين وهم خيرة الباقين وابر الأصحاب. تتصلب سيدتي وهي تنظر إلى أهل بيتها يزهون فرحين مشتاقين للقاء في سبيل نصرة دين الله ورسول الله ووصي رسول الله، تنظر إلى الأطفال وهم محتفين بآبائهم والنساء مشتغلة بما يتطلبه الموقف، من رعاية الأطفال وتقديم الخدمات، فهل تصمد الجبال إمام مثل هذا الموقف.

خطاب الحسين عليه السلام لأهل الكوفة

من الأمور التي تثير حفيظة الإنسان هو جهل المخاطب وعدم وعيه وفقهه، وهذا الذي حصل من أول خطبة ألقاها الإمام الحسين عليه السلام لأهل الكوفة، يذكرهم بأمور الدين، يوجههم إلى ما فيه صلاح، يسترشدهم إلى معرفة أوليائهم، يعلمهم بأنه سبط النبي المصطفى صلى الله عليه وآله.... كان جوابهم (إنا لا نفقه ما تقول).زينب عليها السلام تنظر إلى الحسين عليه السلام وبعض أصحابه (رض) يقدمون النصح الجميل إلى أعدائهم لكي يرجعوا إلى جادة الصواب، وينتفعوا بأقوالهم.....، فلم يجدوا إلا القول الفاحش والعمل السيئ، ورمي السهام والأسنة جوابا. هذا رابع السهام الذي

أصاب زينب عليها السلام وأدركت أن عدوهم لا يفقه شيئاً، وأنهم كالإنعام بل أضل سبيلاً، لا هدف لهم إلا القضاء على الفضيلة وأهلها، ولا غريب أن يصدر منهم قتل مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة وغيرهم[1] قبل اللقاء.

الحملة الأولى

في أول لقاء بين معسكر الحسين عليه السلام، ومعسكر ابن سعد(لع)، دارت معركة حامية، استشهد فيها من أصحاب الحسين عليه السلام ثمانية وعشرين رجلاً[2]، فظهر النقص في صفوف أصحاب الحسين عليه السلام، ولم يتأثر معسكر ابن سعد لكثرة عددهم، فكانت زينب عليها السلام تنظر إلى أخيها الحسين عليه السلام وقد قل ناصره وهي تتجرع كؤوس الألم والأسى، تخاف أن ترسم صورة الذي يحدث في عاجل اليوم، وما يحيط من أخطار بالحسين عليه السلام، وقد انطلق في تلك اللحظات السهم الخامس ليصيبها، تتلقاه بمهجتها وتدمل جرحه بالصبر الجميل، وقوة الشكيمة وعنفوان الصلابة.

(١) - بامر من ابن زياد (لع) تم قتل رسل الامام الحسين عليه السلام الى اهل الكوفة والبصرة امثال (سليمان بن رزين، وقيس بن مسهر الصيداوي، عبد الله بن يقطر (رضوان الله تعالى اجمعين).

(٢) وهناك روايات تقول كانوا خمسين رجلاً

استشهاد جميع الأصحاب

مع استمرار المعركة، وعهد الأصحاب إلا يقتل من أهل البيت احد دونهم، أخذ النقص بمعسكر الحسين عليه السلام يأخذ مأخذه، بتسارع الأبطال في التسابق إلى الشهادة، فيتقدم البطل تلو البطل، يستأذن الحسين عليه السلام في قتال الأعداء، حتى يقضى نحبه، ولم يبق مع الحسين عليه السلام إلا أهل بيته، عندها توجه السهم السادس إلى سيدتي ومولاتي ليصيبها بقساوة شديدة، وهي تسمع أخاها الحسين عليه السلام يخاطب أصحابه وأنصاره فلم ير إلا من صافح التراب جبينه، ومن قطع الحمام أنينه. فنادى عليه السلام: يا مسلم بن عقيل.. ويا هاني بن عروة..[1] ويا حبيب بن مظاهر..ويا زهير بن القين.. ويا يزيد بن مظاهر.. ويا يحي بن كثير.. ويا هلال بن نافع.. ويا إبراهيم بن الحصين..ويا عمير بن المطاع.. ويا أسد الكلبي.. ويا عبد الله ابن عقيل.. ويا مسلم بن عوسجة.. ويا داود بن الطرماح.. ويا حر الرياحي..ويا أبطال الصفا.. ويا فرسان الهيجاء..ما لي أناديكم فلا تجيبوني، وأدعوكم فلا تسمعوني؟! ءأنتم نيام أرجوكم تنتبهون، أم حالت

(١) - يريد الامام عليه السلام ان يقول ان اول المستشهدين في معركة الطف هو مسلم بن عقيل وهانئ بن عروة (رضوان الله تعالى عليهم) وان لم يكونوا في كربلاء، ولم يحضروها، ويبقي اخر من ينتمي الى الثورة الحسينية مفتوح الى جميع الاحرار الذين يسلكون نهج الحسين عليه السلام.

مودتكم عن إمامكم فلا تنصرونه؟! فهذه نساء الرسول صلى الله عليه وآله لفقدكم قد علاهن النحول، فقوموا من نومتكم، أيها الكرام، وادفعوا عن حرم الرسول الطغاة اللئام، ولكن صرعكم والله ريب المنون وغدر بكم الدهر الخؤون، وإلا لما كنتم عن دعوتي تقصرون، ولا عن نصرتي تحتجبون، فها نحن عليكم مفتجعون وبكم لاحقون، فإنا لله وإنا إليه راجعون. ثم أنشأ يقول:

قوم إذا نودوا لدفع ملمة ... والخيل بين مدعس ومكردس

لبسوا القلوب على الدروع واقبلوا ... يتهافتون على ذهاب الأنفس

نصروا الحسين فيالها من فتية ... عافوا الحياة والبسوا من سندس[1]

فأي جبل يصمد أمام هذا الخطاب، وأي صبر يذكر له دون جزع وهلع، لكنها عقيلة الطالبين، ذلك الجبل الأشم الذي تستحي الصلابة منه، تظهر لأخيها القوة، تدعم قضيته بالصبر الممدوح، لا يقف صبرها عند حد، تتلقى سهام الغدر بمهجتها، وضربة أقوى من ضربة، وهي

(١) ناسخ التواريخ/ لسان الملك محمد تقي المستوفى/ ج٢ص٢٧٧، معالي السبطين في احوال الحسن والحسين /محمد مهدي بن عبد الهادي المازندراني الحائري/ج٢ص١٩، مقتل الامام الحسين(عليه السلام)/ لابي المخنف/ ص١٣٣.

واقفة بشـــموخ، مهونة الصعاب، باذلة العطـــاء، معتلية لوحة العظماء، متوشحة بالصبر والبلاء، متجملة برزايا كربلاء.

استشهاد علي الأكبر عليه السلام

أول الســـهام التي أضعفت الســـيدة زينب عليها السلام، هو استشـــهاد علي الأكبر عليه السلام، ذلك بعد أن استشـــهد الأصحاب من الأنصار ولم يبق مع الحســـين إلا أهل بيت النبوة، تقدم علي الأكبر لطلب الإذن للقتال بين يدي ريحانة الرســـول، وهو أول الهاشميـــين البارزين للقتال بمفرده، الإمام الحسين عليه السلام ينظر إلى ولده علي وهو يقاتل أعداء الله غير مكترث بالجمع، يجندل الأبطال، مذكـــراً الناس بجديه المصطفى والمرتضى صلى الله عليه وآله، خلقاً فهو شبيه رســـول الله، وفي صولاته كأنه أعاد الصولة الحيدرية بل رسمها على ارض الطفوف..، زينب تراقب أخاها وهو يرمق ولده بنظرات استعطاف ورقة، حتى قتل جمع من جيش الكفر وعاد إلى المعســـكر لتعود معه روح الحسين عليه السلام ومن ثم روح زينب. هذا السهم يخطأ زينب عليها السلام، لكن عاد وأصابهـــا عندما ترأس علي الأكبر ميدان القتـــال، وتكالبت عليه جموع الأعداء فيسقط وسط الميدان متأثراً بجراحاته الكثيرة، تحملت زينب هذا السهم وهي تعاني الخوف الشديد على أخيها، لمصابه البليغ..،يحمل بنو

هاشم أخاهم علي الاكبر الى المخيم، عندها تخرج زينب مسرعة لتنكب على جسد علي الأكبر وهي تنادي ياحبيباه.. يا ابن أخاه..،فتجعل الحسين عليه السلام يرفعها ليردها إلى خيمتها، تاركاً ولده، مهتماً بها.

شهادة تسابق شهادة

كان علي الأكبر قد فتح باب الشهادة للهاشميين، فاخذ الهاشمي يسابق أخاه لنيل الغاية، من أولاد عقيل[1]، وأولاد جعفر[2]، وأولاد علي [3]، وأولاد الحسن[4] عليهم السلام، وكانوا سبعة عشر، ما كان لهم على وجه

(١) - جعفر بن عقيل وامه ام الثغر بنت عامر بن الهصان العامري وعبد الرحمن بن عقيل وامه ام ولد وعبد الله بن مسلم بن عقيل وامه رقية بنت علي بن ابي طالب وعبد الله بن عقيل وامه ام ولد ومحمد بن ابي سعسد بن عقيل/ راجع الارشاد / للشيخ المفيد/ ص٢٤٨-٢٤٩ وتاريخ الطبري/ ج٥ص٤٦٨-٤٦٩.

(٢) - عون بن عبد الله بن جعفر وامه العقيلة زينب ومحمد بن عبد الله بن جعفروامه الخوصاء بنت حفصة بن ثقيف واخوه عبد الله بن عبد الله بن جعفر وامه الخوصاء بنت حفصة بن ثقيف / نفس المصادر.

(٣) - العباس بن علي بن ابي طالب وعبد الله بن علي وجعفر بن علي وعثمان بن علي وامهم ام البنين – محمد الاصغر بن علي وامه ام ولد وقيل اسماء بنت عميس / نفس المصادر.

(٤) - ابوبكر بن الحسن وعبد الله بن الحسن وامهما ام ولد والقاسم بن الحسن وامه رملة.

ارض شبيه، كأنهم الأقمار والشموس التي تزينت بهم كربلاء، وارتوت من دمائهم عتبة العقيدة السمحاء.

جملة من ســـهام الغدر الهوجاء، تصيب سيدتي ومولاتي، لا تزيدها إلا صلابة وقوة وإصرارا على مواصلة المشوار.

أعود وأقول ماذا كان حال زينـــب وأمام ناظرها تنحر إخوتها، وتقطع أوصال بني عمومتها، وتفرق الرؤوس عن أبدان الهواشـــم، وتفلق هامات أولادها، وتقطع يدي كفيلها، وتسقط راية معسكرها.

فيالهـــا من مصائب وليس مصيبة واحدة، أ تســـكن آلمها بمن بقى من إخوتها، فلم يبق لها من يشـــفي غليلها، أم توعد نفسها بان ترى الحسن في ولده، وعقيل في عقبه، والطيار في نسله.

يا لشـــدة وقع فقد العباس عليها، فهو القائم على أمورها، هو الحادي وهو الراعي ، هو القائل والكافل....، تخاطبه وتنتظر إجابته..، من أين تأتي الإجابة؟ من السيف الذي قطع كفيها، أم من السهم الذي أصاب عينهـــا، أم من العمود الذي أصـــاب هامتها.....، لكن هيهات، لقد مضـــى كما مضى الأولين..، من يصبر زينب علـــى ما أصابها من فقد كفيلها وحيرة وليها،.....يصبرها انحناء الحسين، يصبرها وحدة الحسين،

يصبرها عطش الحسين، يصبرها غربة الحسين.

نعود ونقول ما الذي يصبر زينب، إذا فقدت بقية أصحاب الكساء، وقرت عين الزهراء، ساعد الله قلبك سيدتي، وأنت تنظرين سهم يصيب جبهة القداسة، وسهم يخرق قلب الطهارة، تنظرين إلى الحسين ويدر اللئيم حقده على ترقوته، ورماح الغطرسة تنهش خاصرته، ثم يفصل اللعين رأس الإمامة، فتسلب هيبة المصطفى، وقدسية علي المرتضى، وتراتيل فاطمة الزهراء، وحكمة الحسن المجتبى، ماذا بعد الحسين، خيام تحرق، وأطفال تسحق، ونسوة ترهق، أنت الآن بطلة الميدان، أنت قائد المسيرة، أنت حاملة الراية، أنت صاحبة الرسالة، فهل ينتظرك فيما بعد سهم يضع على قلبك الشريف إصابة جديدة؟

السهم الأكبر

من عجائب الأمور أن تساق حرم الأنبياء والأولياء والصالحين أسرى بأيدي طغاة الإنسانية وهمج ورعاع الأمة، وهذا أعظم المصاب، إن زينب وبنات الرسالة تساق كما يساق العجم والترك، وهذا هو السهم الأكبر، إن زينب، كان صاحب ضعنها الحسين عليه السلام واليوم صاحب

ضعنها ابن سعد وخولي بن يزيد الأصبحي، كان سائقها قمر العشيرة واليوم يسوقها شمر بن الذي الجوشن، كان أنيسها علي الأكبر والقاسم بن الحسن وأولاد مسلم والرضيع، واليوم أنيسها زجر بني أمية ونباح كلابهم وسياط جهالهم..، زينب عزيزة البيت العلوي، اليوم ذليلة الأسر الأموي، فيالها من مصيبة، وهذا أول السهام التي أصابت زينب عليها السلام بعد استشهاد الحسين عليه السلام، نعم الجرح عميق، والنكبات تتوالى ولكن فخر المخدرات تبقى تلك المرأة الصابرة الصامدة، التي بصلابتها وقوة عزيمتها، علمت الصبر كيف يكون الصبر، وتعلمت الجبال منها كيف تكون صلبة شامخة.

المرور على مصرع الحسين عليه السلام

تتصدع صم الجبال لهول ما مر على زينب عليها السلام من أهوال، فما حالها ويأمر ابن سعد بمرور النسوة على مصارع الشهداء الأبطال، وتمر زينب على مصرع الحسين عليه السلام، ولما نظرت إلى الجسد الشريف، تقرح قلبها، ندبته وهي تنادي بصوت حزين وقلب كئيب: (وامحمداه صلى عليك مليك السماء، هذا حسين مرمل بالدماء، مقطع الأعضاء، وبناتك سبايا، وإلى الله المشتكى، والى محمد المصطفى، والى علي المرتضى، وإلى

حمزة سيد الشـــهداء، وامحمداه هذا حسين بالعراء، يسفي عليه الصبا،، قتيـــل أولاد البغايا، يا حزناه يا كرباه، اليوم مات جدي رســـول الله، يا أصحاب محمداه، هؤلاء ذرية المصطفى يســـاقون ســـوق السبايا)[1] فما أعظم قبح المشـــهد ومرارته مـــرور زينب عليها السلام على إخوتها وبني عمومتها وبنيها وأهلها والشـــهداء من الصحابة الأبرار مضرجين بدمائهم مرملين، بالعراء مســـلبين لا يكفنون ولا يـــوارون ولا يعرج عليهم أحد ولا يقربهم بشر. فما أقسى الدهر وهو يوجه سهمه من جديد ليصيب قلب الحوراء الـــذي انهكته النوائـــب وتوالت عليها المصائـــب، لكن زينب عليها السلام تمرر بصبرها وصلابتها هذه المواقف، وتحتســـب الثـــواب عند الله عز وجل، ولتفوت على الأعداء شماتتهم.

سهم ابن زياد (لعنه الله)

سهم آخر يصيب السيدة الحوراء عليها السلام، ذلك سهم التشفي بالعترة وما أصابها، إلا وهو ســـهم ابن مرجانة[2] الذي حاول أن يمزق كبرياء البيت

(١) - بحار الانوار/المجلسي/ج٢٨ص٥٧.

(٢) - مرجانة هي ام زياد وكانت مجوسية وقد اشتهرت بالبغي وقد فارقها زيـاد فتزوج بها شـيرويه وكان كافراً ونشـأ منذ طفولته عنـد زوج امه ولما ترعرع أخذه ابوه./ شرح الاخبار/ القاضي النعمان المغربي/ ج٣ ص٢٥١.

النبوي وهو يتحدث إليها قائلاً: (الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم واكذب أحدوثتكم) فقالت: (الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد صلى الله عليه وآله وطهرنا تطهيراً إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا). فقال: (كيف رأيت صنع الله بأهل بيتك، قالت: (ما رأيت إلا جميلاً، هؤلاء قوم كتب عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم وسيجمع الله بينك وبينهم فتحاج وتخاصم فأنظر لمن الفلج)[1]، نعم إن محاولة ابن مرجانة وهو يضمر الشماتة وإرادته ذل عقيلة البيت الهاشمي، إلا إنها أظهرت قوة عزيمتها وأنها صابرة وصبرها جميل، وكذلك علمته أن الأعمال بخواتيمها وان النصر الأكيد هو من يتزحزح عن النار، ونيل الدرجات العليا، ومجاورة الأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين في مقعد صدق عن مليك مقتدر.

سهم المسير

حاول ابن زياد (لعنه الله) أن يذل الاسارى، فكبلهم بالحبال وقيد الإمام علي بن الحسين عليه السلام بالجامعة مغلولاً في عنقه

تشخب أوداجه دماً، ويسوق الموكب الحسيني طغاة الأمة وشذاذها، يسلطون سياطهم وكعوب رماحهم لتعلو نساء البيت العلوي وأصحابهم،

(١) - مثير الاحزان / ابن نما الحلي/ ص٧٠.

ومع كل ضربة توجه إلى صغيرة أو كبيرة، تصيب زينب قبل أن تصيبهم، وبالفعل إن الذي أصيبت به زينب كثير حتى اسودت متونها من ضربات المـردة والعتـاة، ولكن ما كان يقتلها حقيقية ذل الأسـر وذل من يقود ركبهـا، ذلك الركب الذي حمل ، وهـو متجه لملاقاة قاتله الذي يضفي الى ذله ذل، وصل الركب في أول محطة له وهو باتجاه الشام تكريت، وفي هذه المدينة نشـرت الأعلام وأظهرت الأفراح والمسرات على أهلها وهم محتفلون بالنصر الذي حققه يزيد (لعنه الله) وسـبيه أهل البيت وسوقهم أسـارى، فاستقبلوا السبايا بالفرح والسـرور وعظموا جند الباطل وشمتوا بمصـاب الموكب المفجوع، ثم توجه موكب السـبايا إلى الموصل الذي لم يسـتقبل أهلها الجيـش الموهوم بالنصر[1] ، ثم توجـه الركب إلى نصبين حيث محطته التالية، وهناك علق الرأس الشـريف [2] وكذلك سـقطت قطرة دم من رأس الحسين عليه السلام، (شيدت عليها بنية وتعرف اليوم بمشهد النقطة)، ثم وقف الركب في قنسرين عند دير وقد شاع عند جيش الكفر

(١) - امـر اهل الموصل الجند الا يدخلوا البلدة، وجهزوهم الأكل والعلوفة، فنزلوا ظاهر البلد ووضعوا الرأس الشريف على صخرة فقطرت عليها قطرة دم من الرأس الشريف فصارت تشع ويغلي منها الدم كل سنة في يوم عاشوراء، وكان الناس يجتمعون عندها من الاطراف ويقيمون العزاء في كل عاشوراء وبقي هذا الى ايام عبد الملك بن مروان فأمر بنقل الحجر فلم ير بعد ذلك منه أثر./انظر الركب الحسيني /محمد جعفر الطبسي/ج٥ص٢٠٠.

(٢) - شـيد في المكان الذي علق فيه الرأس الشـريف عمارة تسـمى مشـهد الرأس.

والضـــلال أن هناك من يريد أن يحاربهم وينتزع منهـــم الرؤوس ليدفنها، فالتجأوا إلى دير يسكنه راهب وطلبوا منه أن يدخلهم الدير ويمضوا الليلة فيه، فأبى وسمح فقط للأسارى الدخول والمبيت فيه، وفي تلك الليلة رأى الراهب ذلك النور الذي يشع من الرأس فأخذه ونشر عليه الطيب وماء الورد واعتنق الإســـلام بفضل ذلك الـــرأس وما رآه من كرامات صدرت عنـــه، ثم كانت المحطة التالية حلب، الذي أمر أميرها بالأعلام فنشـــرت وظهرت معالم الفرح على أهلها، وفي هذه البلد ســـقط للحســـين عليه السلام طفل اسمه المحسن.

سهم أموي آخر

إن مســـألة سوق بنات الرسالة أســـارى من كربلاء إلى الكوفة ومن ثم من الكوفة إلى الشـــام، يطاف بهن من بلد إلى بلد ورأس الحســـين عليه السلام محمول على القنا، وســـلك بهن بين النظارة، يتصفح وجوههن الشريف والوضيع ،ثم الدخول لمجلس يزيد (لع)، القاتل المتشفي، ينظر إلى الإمام زيـــن العابدين عليه السلام نظرة ازدراء، ويتعامل من بنات الرســـالة كأنهن بنات

ترك أو روم، منتشـياً بقتل الحسـين عليه السلام وأهل بيته، ظاناً بقتلهم القضاء على الرسـالة الإلهية وطمس الأنوار المحمدية، والهدايـة العلوية، متمثلاً بآيـات ابن الزبعري، وهو ينكث ثنايا الحسـين عليه السلام بقضيب كان بيده المسمومة[1]:

ليت أشياخي ببـدر شهـدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهـلـوا واستهـلوا فرحـاً ... ثم قـالـوا يـا يـزيـد لاتشـل

قد قتلنا القرم من سـاداتهم ... وعـدلـنـاهـا ببـدر فـاعـتـدل

لست من خندف إن لم انتقم ... من بني احمد ما كـان فعل

لعبت هاشم بالملـك فـلا ... خبر جـاء ولا وحـي نـزل[2]

لكن هيهات، يأبى الله إلا أن يتم نوره، عندها قامت زينب بنت علي بن أبي طالب عليه السـلام فقالت: الحمـد لله رب العالمين وصلى الله على رسـوله وآله أجمعين، صدق الله كذلك يقول (ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوء أن كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزؤون)[3] أظننت يا يزيد حين أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السـماء، فأصبحنا نساق كما

(١) كان قد وضع رأس الحسين عليه السلام بين يديه.
(٢) روضة الواعظين/ الفتال النيسابوري/ص١٩١.
(٣) - سورة الروم / الآية ١٠

تســاق الأسارى أن بنا على الله هوانا وبك عليه كرامة؟ وأن ذلك لعظم خطرك عنده؟ فشــمخت بأنفك، ونظرت في عطفك، جذلان مسرورا، حين رأيت الدنيا لك مستوســقة والأمور متسقة، وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، مهلا مهلا أ نسيت قول الله تعالى (ولا يحسبن الذين كفروا أنما نملي لهم خير لأنفســهم إنما نملي لهم ليزدادوا إثما ولهم عذاب مهين)[1] أمن العدل يا ابن الطلقاء تخديرك حرائرك وإماءك وســوقك بنات رسول الله ســبايا قد هتكت ستورهن وأبديت وجوههن تحدو بهن الأعداء من بلد إلى بلد ويستشرفهن أهل المناهل والمناقل، ويتصفح وجوههن القريب والبعيد، والدني والشــريف، ليس معهن من رجالهن ولي، ولا من حماتهن حمي؟ وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء، ونبت لحمه بدماء الشهداء؟ وكيف يســتبطئ في بغضنا أهل البيت من نظر إلينا بالشنف والشــنآن، والإحن والأضغان؟ ثم تقول غير متأثم ولا مســتعظم: وأهلوا واســتهلوا فرحا * ثم قالوا يا يزيد لا تشــل منتحيا على ثنايا أبي عبد الله ســيد شــباب أهل الجنة، تنكتها بمخصرتك وكيف لا تقول ذلك؟ وقد نكأت القرحة واســتأصلت الشــأفة، بإراقتك دماء ذرية محمد صلى الله عليه وآله ونجوم الأرض من آل عبد المطلب، وتهتف بأشــياخك زعمت أنك تناديهم فلتردن وشــيكا موردهم، ولتودن أنك شللت وبكمت، ولم يكن قلت ما قلت وفعلت ما فعلت (اللهم خذ بحقنا، وانتقم من ظالمنا،

(١) - سورة آل عمران / الآية ١٧٨

وأحلل غضبك بمن سفك دماءنا وقتل حماتنا) فوالله ما فريت إلا جلدك، ولا جززت إلا لحمك، ولتردن على رسول الله بما تحملت من سفك دماء ذريته، وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته، حيث يجمع الله شملهم ويلم شعثهم، ويأخذ بحقهم، ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون، حسبك بالله حاكما، وبمحمد خصيما وبجبرئيل ظهيرا، وسيعلم من سوى لك ومكنك من رقاب المسلمين، بئس للظالمين بدلا، وأيكم شر مكانا وأضعف جندا ولئن جرت على الدواهي مخاطبتك إني لاستصغر قدرك، وأستعظم تقريعك وأستكبر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور حرى، ألا فالعجب كل العجب لقتل حزب الله النجباء بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدي تنطف من دمائنا والأفواه تتحلب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل وتعفوها أمهات الفراعل، ولئن اتخذتنا مغنما لتجدنا وشيكا مغرما، حين لا تجد إلا ما قدمت وما ربك بظلام للعبيد، فإلى الله المشتكى، وعليه المعول، فكد كيدك واسع سعيك، وناصب جهدك، فو الله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا، ولا ترحض عنك عارها، وهل رأيك إلا فند، وأيامك إلا عدد، وجمعك إلا بدد، يوم يناد المناد ألا لعنة الله على الظالمين، فالحمد لله الذي ختم لأولنا بالسعادة ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد ويحسن

علينا الخلافة، إنه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل[1]...انتزعت زينب عليها السلام من يزيد (لعنه الله) نشوة النصر الذي يتوهمه وضيقت عليه الآفاق، وفضحته من حيث لا يحتسب، وتجلدت وتحملت بالصبر، إلا إن من هوان الدنيا أن تقف فخر المخدرات في مجلس يزيد (لعنه الله) وهي كريمة البيت النبوي،ويزيد فاجر وماجن البيت الأموي وإذا كانت الشجرة الملعونة في القرآن هم بنو أمية، فما حال فاسقها وفاجرها.

سهم رقية

تدخل الرؤوس إلى الشام وتحضر المجالس ثم تنصب على محامل الحقد، وبعدها تحجب عن الناس بل حتى عن أهل البيت عليهم السلام، السهم الثقيل الذي وجه إلى صدر زينب الشريف هو أنه في تلك الليالي البائسة التي مرت على السبايا وهم في الشام، تشتاق رقية بنت الحسين عليها السلام إلى رؤية أبيها الحسين، وتبدأ بإلحاح أن ترى والدها مصحوب ذلك الاشتياق بالبكاء، حتى لفت نظر الجميع، مما أدى ذلك إلى عرضها على رأس أبيها، انحت سيدتي الصغيرة على ذلك الرأس المقطوع، ضمته إلى صدرها، تحاكيه بعواطفها، تندبه مرة وأخرى تخبره عن حال أهل بيته والذي جرى عليهم، مرة تقبله وأخرى تشمه، دفعت بكل ما تملك من

(١) - بحار الأنوار/المجلسي/ ج٤٥ص١٣٣.

عواطف نفسها إليه، أنت ثم أنت ثم أنت ثم سكت، صمتها محير، ما اسكت السيدة الصغيرة.....، تتفحصها السيدة الكبيرة، ترها في غير وعيها، يبادرها الإمام زين العابدين عليه السلام، عظم الله لك الأجر يا عمة، إن أختي فارقة الحياة، سيدتي رقية تموت على رأس أبيها، فهي شهيدة الدمعة والعبرة، طفلة تتأمل وهي ناظرة إلى أبيها، لا يمكنها أن تسيطر على مشاعرها وعواطفها، فيقتلها الحزن الشديد، لا يمكنها أن تعيش الدنيا دون أبيها، فتموت على رأسه، وان كانت رقية لم تشترك في معركة كربلاء، إلا إنها شاركت في تثبيت نشر مظلومية أهل البيت، فنصبت علم للشهادة في عقر دار أعدائها، لكنها في ذات الوقت زرعت سهم جديد وثقيل في قلب زينب عليها السلام.

سهم الأربعين

عاد ت الرؤوس المقطوعة من الشام لتدفن مع الأجساد، وهناك التقى أهل البيت عند قبر الحسين عليه السلام مع جابر بن عبد الله الأنصاري وجماعة، فتلاقوا بالبكاء والحزن الشديد، وكان الإمام زين العابدين عليه السلام يرشد عمته إلى قبر الشهيد تلو الشهيد، فتقيم العزاء هنا ثم تكرره هناك، متنقلة بين قبور الشهداء، تعيد صور الشهادة وهي تتقطع ألما والمرارة تملأ ها، وقفت عند قبر الحسين عليه السلام تندبه وتستنهضه وتستجوبه، ثم تندب

أصحاب الكســاء، ثم تتمنى أن تكون معه أو تعيد تلك الأيام الخوالي، تلك الأيام التي يكون فيها الحسين هو المهتم بشؤونها، ثم تخبره بما جرى على عياله وأطفاله، تخبره من دفن من بعده، كم طفل شرد وكم طفل قتل سحقاً، كم طفل مات صبراً، كم امرأة هتكت حرمتها وكم امرأة أكلتها نــيران الأعداء كم امرأة قتلها الحيــاء، ثم تنتقل وتقف عند كافلها الذي تعهد لها، الســائق الذي لا يســمح لأحد التقرب من محملها، الساقي الــذي بيده يســقيها، العمود الذي يرفع خيمتها، ابــن أبيها وحاميها، العباس بن علي عليه السلام، تعيد مشــهد الراية، قطع اليد اليمنى ثم اليسرى، ثم ســهم العين الذي صك عينها، تعيد ضربت العمود وفلق الهامة، لقد طال وقوفها عند أبي الفضل، تحكي له الذي جرى عليها أثناء ســوقها من عدوها، يطاف بها من بلد لأخر، وتندبه وتستنصره وتفديه يائسة، ثم تفارقه مودعة منكسرة، تجر ورائها وشاح الثكلى، تلمم جراحاتها، ترتدي صبرها متجملة، متثاقلة بسيرها نحو المدينة، مصطحبةً ألآمها وقراحاتها.

المدينة المنورة

عنــد اقتراب قافلة أهل البيت عليهم السلام من المدينــة، ووصول الخبر اليقين الذي يخبر به عن استشــهاد الحســين بن علــي عليه السلام وأهل بيته عليهم السلام، ضجــت المدينة بالبكاء والعويل، وأقيم العزاء، واخذ الإمام زين العابدين

عليها السلام يستقبل عزاء المعزين، وتصدت زينب عليها السلام لاستقبال المعزيات، وها قد أعيدت النوبة لعقيلة الهاشميين، وهي تعرض قصة أخيها الحسين وما جرى عليها وعلى أهل بيتها من المصائب والآلام، وأصعب حالة تمر بها زينب عليها السلام وهي تطوف على بيوت إخوتها وأولاد عمومتها وأهل بيتها وهي خالية من الأولياء، فهذا بيت الحسن قد خلا من رجاله إلا صبية تنتظر الم فراق الأحبة، تنظر إلى بيت الإمام الحسين عليه السلام وقد خلى من عميده، وقد اشتاق إلى تراتيل صاحبه، والمحراب إلى المناجات وأنينه، افتقر البيت إلى من يبعث فيه الحياة، هيهات هيهات لقد فارقة فراق غير راجع..... تطوف زينب بالبيت الذي قلما غابت عنه وتعيد ذكرياتها مع من غاب من أهلها، هذه الزوايا التي كانت تجمعها بأعز الناس اليها، كانت تجمعها مع الحسين مع أولاد الحسين.....

تنظر زينب إلى بيت أخيها العباس وقد دخله الظلام بعد غياب القمر وارتسمت على جوانبه مسحات الحزن والألم، أطفال يعلوهم برقع الأسى، وأم البنين تندب الحسين غير مكترثة الثكل بأولادها الأربعة الذين فقدوا في اشرف وأنبل معركة في تاريخ البشرية.

هكذا حال بيوتات بني هاشم، فهذه بيوت آل عقيل وآل جعفر، يعلوها صوت النحيب وقد فقدت أحبتها، والأيتام تجوب فيها نادبة أولياءها، والنساء ثكلى تصبر أحداهن الأخرى وقع مصيبتها.

الغربة الحقيقية

قال علي بن أبي طالب عليه السلام (الغريب من ليس له حبيب والصاحب المناسب)[1] نعم عاشت سيدتي زينب عليها السلام الغربة الحقيقية وهي الفاقدة للحبيب والصاحب والصديق والولد البار اللطيف، عاشت بعد واقعة الطف أقسى الأيام وأحلك الليالي، عاشت غريبة وحيدة في وطنها، لا شيء يأنسها لأنها فقدت كل أنيس لم يبق لها أنيس سوى النحيب، تتكرر عليها صور من ذاكرتها، قبل واقعة كربلاء، وأثناء واقعة كربلاء، وبعد واقعة كربلاء، مندهشة والحيرة تأخذها وهي تلاحظ من حولها البيوت الخالية، تعيد أحلامها البالية، إنها تعيش الغربة، الغربة حتى يجمعها الله عز وجل بأحبائها...

قال الشاعر

فلا تحسبي أن الغريب الذي نأى

ولكن من تنأين عنه غريب[2]

(١) - جواهر المطالب في مناقب علي عليه السلام / شمس الدين ابي البركات محمد بن احمد الدمشقي المعروف ابن الدمشقي/ ج٢ص١٥٨.
(٢) - معجم البلدان/ الحموي/ج٥ص٣٦٢

وأخيراً..

لو تعرضت الجبال ذات الصخور الصلدة إلى ضربات متتالية لتصدعت ثم تكسرت، وتعرضت زينب عليها السلام إلى أقسى الضربات المتتالية، أصابتها سهام الغدر وهي في أول عمرها حيث فقدها جدها المصطفى صلى الله عليه وآله،ثم فقد أمها عليها السلام، وبدأت تنهال عليها المصائب، المصيبة تلو المصيبة، حتى غدر ابن ملجم فغيب عنها سيد الوصيين عليه السلام، ثم تحمل مع أخيها الحسن عليه السلام همومه حتى طالته يد الخبيثة لتنال منه، ثم واقعة الطف، التي وجهت أقوى الضربات وأقساها لسيدتي، ضربات متتالية في وقت واحد، لا تكون هناك فترة ولو وجيزة تعيد فيها قوتها واستعدادها إلى ما يأتي من مصائب، فتفقد الإمام والأخ والابن وابن الأخ وابن الأخت وابن العم، تفقد الشيخ والكهل، والشاب والصبي والطفل والطفل الرضيع بل حتى النساء، تلك الضربات التي وجهت دفعة واحدة إلى شخص زينب، لكنها تبقى شامخة صلبة، تكسرت سهام الغدر ولم تنكسر، مسلمة لأمر الله تعالى راضية قانعة غير جازعة..فسلام عليك يوم ولدت ويوم صبرت ويوم قبضت ويوم تبعثي، وجزاك الله عز وجل خير الجزاء وخير الثواب وحشرك مع الأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

الفهرس

المقدمة ٣
زينب في سطور ٦
خطاب زينب عليها السلام ٨
زينب ومقام الإمامة ١٠
كرم زينب عليها السلام ١١
الصلابة عند المواقف الحرجة ١٢
غربة الوطن ١٤
النزول في أرض كربلاء ١٥
قلة العدد ١٦
خطاب الحسين عليه السلام لأهل الكوفة ١٧
الحملة الأولى ١٨
استشهاد جميع الأصحاب ١٩
استشهاد علي الأكبر عليه السلام ٢١

شهادة تسابق شهادة ٢٢
السهم الأكبر ٢٤
المرور على مصرع الحسين عليه السلام ٢٥
سهم ابن زياد ٢٦
سهم المسير ٢٧
سهم أموي آخر ٢٩
سهم رقية ٣٣
سهم الأربعين ٣٤
المدينة المنورة ٣٦
الغربة الحقيقية ٣٧
وأخيراً ٣٨

يا قلب زينب ما لاقيت من محن

فيك الرزايا وكل الصبر قد جمعا

لو كان ما فيك من صبر ومن محن

في قلب أقوى جبال الأرض لانصدعا

يكفيك صبراً قلوب الناس كلهم

تفطّرت للذي لاقيته جزعاً